الفصل السادس

آثار الذنوب والمعاصي على التوبة

للمعاصي آثار كبيرة وعظيمة على التوبة فهي تؤدي إلى هدم الشعوب وفساد القلوب وخراب البيوت وتشتت الآراء وتمزق الأفكار.

ما نجست الأرض والأرزاق ولا قست القلوب ولا جف الدمع في العيون إلاّ من الذنوب والمعاصي.

وما غضب الجبار وما نصاب به من فزع وخوف إلاّ من الذنوب والمعاصي.

وما أقيمت النار ومشاهد العذاب وما نصب الصراط إلاّ من الذنوب والمعاصي.

ما تكررت قضية في القرآن وما أخذت مساحة كبرى كما أخذت مشكلة التقوى والذنوب والمعاصي من مساحة.

فنقص التقوى والخوف من الرحمن هو السبب الرئيسي من أسباب المعاصي **قال تعالى:**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

وتعددت تعريفات العلماء للتقوى:

فقال شيخ الإسلام بن تيمية" العمل بالمأمور وترك المحظور".

وقال الإمام على بن أبي طالب "هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل".

وقال الإمام بن رجب" التقوى ترك الذنوب كبيرها وصغيرها"

وأعلم أن تقوى الله جل وعلا هي درجة الإحسان حيث قال رسول الله -ﷺ- " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "والتقوى فسرها رسول الله عليه الصلاة والسلام بعمله وسلوكه فكان يقول للصحابة" إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا" وأتى الصحابة فكانوا نموذجاً خالداً لتفسير التقوى في الحياة فلم تكن التقوى عندهم كلمات جوفاء خارجةً عن حيز التنفيذ فعند الإمام مالك في الموطأ موقوفا على الحسن" ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل"

إذن من أين تأتى التقوى لهؤلاء؟

من عدة أسباب :

أولاً: قصر الأمل بأن تضع الموت نصب عينك في كل لحظة فعندها تخاف الله في كل لحظاتك خوفا من الموت على معصية.

ثانيا: غلبة العقل على الهوى.

ثالثا: مراقبة الواحد الديان على نور من الكتاب والسنة.

دخل أبو بكر ذات يوم مزرعة رجل من الأنصار فرأى طائر يطير من شجرة إلى شجرة فبكى وجلس فقال له الصحابي: مالك يا خليفة رسول الله قال: طوبى

لهذا الطائر. يشرب الماء ويأكل الثمر ثم يموت لا حساب ولا عذاب يا ليتني كنت طائراً.

أنظر إلى محاسبتهم الدقيقة لأنفسهم فهم وضعوا الآخرة وسرعة لقائهم بربهم نصب أعينهم إنها زيادة الإيمان في القلوب.

روي عن أبي بكر عن النبي -ﷺ- قال " إن للجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد "؛

فيقول أبو بكر يا رسول الله هل يُدْعى أحد من هذه الأبواب الثمانية ؟

فيقول الرسول قد علمت أنه لا يسألني غيرك هذا السؤال وأنت منهم أن شاء الله أنظر إلى الهمم العالية وكيف كان هدفهم متجه صوب الجنة.

وروى عمر وهو يتحدث عن أبي بكر يقول: لما تولى أبو بكر الخلافة كان يخرج بعد صلاة الفجر كل يوم فكان عمر يلحظه وينظر أين يذهب ؟ فإذا هو يذهب إلى إحدى الخيام في أحد أحياء المسلمين.

ذهب عمر وراءه يوماً من الأيام وخرج أبو بكر من الخيمة فدخل عمر وراءه من حيث لا يراه أبو بكر فرأى امرأة عجوز عمياء حسيرة كسيرة داخل الخيمة ، فقال لها عمر يا أمة الله من أنت؟ فقالت عجوز حسيرة كسيرة عمياء قال من هذا الشيخ الذي يأتيكم؟ قالت لا اعرفه قال: ولم يأت ؟ ، قالت يصنع لنا طعاما ويكنس بيتنا ويحلب شاة لنا فأخذ عمر يبكي ويقول أَتعَبْتَ الخلفاء من بعدك يا أبا بكر.

وأبو بكر مثل عظيم للتقوى وإذا ضربنا لخوفه من الله الأمثلة ما كفي لنا الزمان أن نسردها.

وهذا القيم بن القيم يقول عن أبى بكر ما يلي:

"من لي بَسِيرة الصديق أول المصلين وفي أول الصائمين وفي أول الذاكرين وفي أول المجاهدين".

إنها والله التقوى ولا يمكن أن نفهمها إلاّ في قراءة سير أولئك الذين رفع الله منزلتهم.

فهذا رسول الله - ﷺ - يقول " هل أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال: هل شيع أحد فيكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال: هل تصدق أحدكم اليوم بصدقة قال: أبو بكر أنا قال هل عاد أحدكم اليوم مريضا قال: أبو بكر أنا قال: ما اجتمعت هذه الأمور في أحد في يوم واحد إلاّ دخل الجنة.

وهذه الأخبار الصادقة من الرسول - ﷺ - في خبر أنه من أهل الجنة ما زاده ذلك إلاّ خوفا ووجلا من الجليل وما جعله يركن ذلك إلى هذه الوعود بل زاده ذلك خوفا وورعا وزاد من محاسبة نفسه لعله يصيب رضا ربه ويدخل جنته ويبتعد عن النار.

فكان الرجل الأول في هذه الأمة لما في نفسه من محاسبة وخوف وطمع في رضا الرب جل وعلى واستحق هذا الشرف من أن بشره الرسول بدخوله من أبواب الجنة الثمانية.

وربما قال رجل ما لنا ومال الصحابة هم أتباع النبي ونحن في زمان آخر فأقول له مقوله أبا سفيان الثوري رحمه الله تعالى :

"سأل أحد التابعين قائلاً يا أبا سعيد "ذهب القوم يعنى الصحابة على خيول جادة ونحن نذهب على حمير"

قال والله ليصلن بالقوم إذا سلكت ما سلكوا ولو كنا على الحمير بحيث نبقى على الخطوة على الاتجاه وعلى الطريق الذي ساروا عليه".

وللذنوب آثار منها :

١- الضيق والهم .

٢- حرمان الرزق .

٣- نسيان العلم .

٤- البغض في القلوب .

٥- الوحشة بين قلوب الخلق .

٦- قسوة القلوب أو موتها .

٧- ضياع العمر.

٨- عواقبها في الآخرة يوم يأت الإنسان بلا توبة مفلسا من الخير.

- والله ما ذاق الناس أمر من المعاصي ولا تجرعوا أخبث ولا أشد ولا أنكر من السيئات.

فهي مدمرة لكل شيء وحصادها مهلك مر في الدنيا والآخرة .

وليس لها ثمار إلاَّ الضنك في الدنيا ودخول النيران في الآخرة وغضب للرحمن.

ومن أثارها المهلكة:

المسألة الأولى: وأعظم أثر للذنب هو الضيق والهم والغم الحزن:

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه١٢٦:١٢٤]

وكلمة ضنك كما يقول سيد قطب يكاد الإنسان يختنق بها لأنها تؤدى إلى معنى عجيب وهى الحياة التي يعيشها المعرض عن الله.

فهم سكنوا ناطحات السحاب واستقلوا السيارات الفارهة ولكن لما أعرضوا عن منهج الله ردهم الله تعالى وجعل حياتهم تعاسة وقهرا وأقرب مثلا لذلك الذين يعيشون في السويد فهم يحصلون على أعلى الرواتب في العالم وأعطوا أنفسهم كل أنواع الرفاهية مما هو حلال ومما هو محرم وأعطوا الجسد كل ما يستحق ولكنهم مع ذلك فيهم أعلى نسبة انتحار في العالم فهم ظلوا يحاولون الحصول على السعادة المادية لكنهم أهملوا الروح فظلت حائرة فزادت نسبة الانتحار لذلك السبب لأن السعادة المادية ليست وحدها سببا للسعادة فالجسد عبارة عن بدن وروح ولا بد من مراعاة الروح مع الجسد والروح لا يريحها إلا ما خلقت من أجله ألا وهو التلذذ بعبادة الله جل وعلا وحده لا شريك له فلا تكن ممن يريح البدن ويترك الروح حائرة تبحث عن راحتها وسعادتها فتمغص عليك حياتك وتدفعك إلى ما تكره.

قال تعالى :

﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥ ﴾ [الزُّخرُف٣٣ :٣٥]

وأما المسألة الثانية وهى: حرمان الرزق:

وحرمانه يكون من كل جوانبه من حرمانه أصلا ووجوداً وحرمان بركته ونوره.

البعض تجده يعيش الفاقة عديم الرزق ولذلك صح عن ابن عباس من كلامه أنه قال:

" إن للحسنة نورا في الوجه أو بياضاً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وأن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب وضيقاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق".

والبعض يبطر بالنعمة ولا يحترمها ويستعلى عليها ولا يستغلها في طاعة الله تبارك وتعالى ولذلك كانت هذه الأسباب من أهم أسباب حرمان الرزق فالله لا يبارك في رزق صحبه عدم رضا بقضائه والرزق لا يطلب إلاّ من الله فلا يطلب من ولي ولا نبي:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ [الذاريات:٥٨]

لا رازق لنا غيره ولا معبود بحق سواه إلى الله كل شيء منتهاه فهو المنعم على عباده تفضل عليهم بالرزق وضمن لهم المعيشة فلا يحرم الرزق من أحد.

وحرمان الرزق يأيها الأخوة من أعظم آثار الذنوب **قال تعالى**:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦]

لكنهم ما آمنوا وما اهتدوا فأغلق عليهم أبواب البركات وحرمهم الخيرات ولذلك لا عزة بهذه الكثرة الكاسرة ولا خير في هذه الأصول إذا لم توظف في طاعة الله تعالى.

أما المسألة الثالثة : فهو نسيان العلم:

نقول ما لنا ننسي مالنا نخطئ مالنا لا نستحضر المعلومات؟

والجواب يعود السبب فيه إلى أمرين:

السبب الأول: إما أن يكون أصل في الجِبِلّة والفطرة مفطورة على هذا.

قال الذهبي : معلقا عليه لعن الله الإلحاد بالذكاء وأحيا الله البلادة بالتقوى.

إن الذكاء لا يتقيد دائما بالتقوى لأننا نجد بعض العلماء من لا يستحضر النصوص أو لا يعرف التخريج وهو من أفضل عباد الله ومن أَفْقَه خلق الله في طلب العلم الشرعي وهذا مما ذكره الإمام بن حجر.

أما السبب الثاني فهو قسوة القلوب:

قال تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣]

وقال أيضا :

﴿ ... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٢]

وبمفهوم هذه الآية نعلم أن من يَتـْقي الله يعلمه الله ويزيد في علمه ومن لا يتقي الله لا يعلمه الله والذنب هذا في طلب العلم أمر عجيب فهو يؤدي إلى نسيان العلم بالكُلْيّة.

قال الجلاد: نظرت منظراً لا يحل لي فقال لي أحد الصالحين أتنظر إلى الحرام؟

والله لتجدن إربه ولو بعد حين فنسيت ما حفظت من القرآن. ذكره الذهبي وبن تيمية.

وهذا الشافعي رحمه يقول في أحد أشعاره:

شكوت إلى وكيع سوء حفظ
فأخبرني بترك المعاصي
وقال لي بأن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي

قيل لوكيع ما أحسن دواء للحفظ ؟

قال: أكل الزبيب وبعضهم قال البطاطس.

و قال مالك لأحد تلامذته وهو محمد بن إدريس" يا محمد إني أرى فيك نجابة و إني أرى لك إمامة في هذا الدين فإياك والمعاصي فإنها تتلف العلوم أو كما قال رضي الله عنه"

ولذلك قال الله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣]

أما المسألة الرابعة :البغض في قلوب الناس:

إعلم أن البغض والحب يأتي من فوق سبع سماوات من عند الله وقد يصنع الناس الأعاجيب ليحصلوا على حب الناس لكن يَأْبى الله إلا أن يُكَرِّه فيهم الناس بسبب ما يقترفونه من ذنوب.

والحب والقبول ليس يصنعهما أحد والناس قد تصنع حبا مصطنعاً والناس قد تصفق لك لأن من ورائك مصلحة وجاها وفلوس ومراتب عُلْيا.

لكن الحب الملقى من الواحد الأحد هو الحب مع القبول كما أورد البخاري في كتابه بابا" المقت من الله " ثم أورد حديثا يدل على ذلك:

قال رسول الله -ﷺ- " إذا أحب الله العبد قال يا جبريل إني أحب فلان فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبو؛ فيحبو؛ ثم يوضع

له القبول في الأرض وإذا أبغض الله أحد قال لجبريل إني أبغض فلانا فيبغضه جبريل ويقول للملائكة إن الله يبغض فلانا فأبغضو، ثم يوضع له البغض في الأرض".

وأعلم أن من أسباب البغض بين الناس المعاصي لأنه أبى الله إلا أن يفضح من يفعلها وينشر له البغض بين الناس.

قال بن الجوزي في صيد الخاطر :

قد رأيت نفراً من الناس يتصنعون في كلامهم وفي مشيتهم ويكثرون من الصلاة والصمت والصيام والقلوب تنفر عنهم ورأيت أناسا يأتون من المزح ويتوسعون في غير المحرم والقلوب تنصت عليهم أو تلتف حولهم أو كما قال فعلمت أن الأمر في السرائر"النيات" الخفية ولكنها عند الله بادية للعيان.

- ولذا والله نعرف أشخاصا يريدون أن يحبهم الناس كثيراً ويحاولون أن يوجدوا أمراً من الأمور يلفت إليهم الأنظار ولكن أبت القلوب.
- ونعرف أناسا ما حرصوا على حب الناس أو مدحهم ولكن أقبلت إليهم القلوب بالدعاء وبالحب والشوق واللهفة حتى يتمنى كثير من الناس الجلوس معهم.
- وفي ذلك يقول أبو الدرداء " لو أطاع طائع ربه وراء سبعة أبواب لأخرج الله أثر طاعته للناس ولو عصى الله عاصي وراء سبعة أبواب لأخرج الله أثر معصيته للناس".

أما المسألة الخامسة : الوحشة بين العبد وبين ربه:

والوَحْشة أمرها عجيب ومكمنها أنها ترتقي بالعبد فوق مظاهر الحياة الزائفة فترى الرجل يجمع من المال الكثير والأولاد كثير لكنه مع ذلك لا يشعر بسعادة ولا راحة بال ويعيش مثل الحمار يعمل ليلاً ونهاراً ولا يقتنع برزقه.

إن السعادة والنعيم لن تكون بالمال ولا بالأولاد وإنما في طاعة الله عز وجل فهي خير زاد.

كما قال القائل:

ولم أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

ويبدو المرء قلقا مزعزعا حتى يقول بن القيم" أن العاصي دائما إذا سمع نسمة من الريح يظن الصوت عاليا"

قال تعالى:

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾

[المنافقون:٤]

وهذا واقع العصاه لو تحرك الباب خاف لأنه كما قيل تصفد وتقفل أكثر طرق الإجابة والقبول بينكم وبين الله فكيف تطالبون حلاوة الإيمان والراحة النفسية.

قيل لأبى معاذ الرازي أيجد العبد حلاوة الطاعة إذا هم بالمعصية قال: لا والله لن يكون هذا لا والله حتى ولو هم بها دون فعلها لا يجد حلاوة الطاعة بل يجد وحشة والوحشة لها آثار كثيرة.

نجد البعض لا يثق في موعود الله ويمر على المصحف وكأن آيات الجنة والنار وآيات الله عز وجل ليست بآيات تقرأ ويتعبد بها إلي الله عز وجل وقد أمرنا الله إن نحسن الظن به والتعبد له بآياته هي من حسن العمل ولكن كيف ذلك وعلي قلوب أقفالها **قال تعالي** :

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء:١٥٥]

وقال أيضا :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

[النساء:٨٢]

نجد الفسقة أكثر الناس ضحكاً لكنه مهزوم من داخله يكثر من الضحك ليدارى همومه وإذا سألته أراك كثير الضحك قال لك أخفف بالضحك بغض همومي والعلماء ذكَر للقلب هموما تبدأ بالغيظ وتنتهي بالقتل .

وأعلم أن موت القلوب لا يحس وقد تجد بعض الناس يرتكب من الذنوب والخطايا مثل الجبال ولكن ما يحس بأنه ارتكب ذنباً تقول له لا تغتاب يقول الغيبة سهلةً هينةً وإذا سألته عن إسبال الثوب قال هذه قشور وإذا سألته عن حلق اللحية قال الأمر سهل ليس الإسلام قضية حلق لحية أو تقصير ثوب يستيقظ علي

الألحان وكأنه يقول أصبحنا وأصبحت الموسيقي لله وأمسينا وأمست الموسيقي لله فهذه والله هي الوحشة مع الله التي تبدأ بفعل المعاصي وتنتهي بكره تعاليم الله وعدم قراءة القرآن وتدبر آياته ويصبح القلب خاليا من الخشية لله جل وعلا وتنتهي بموت القلب وعدم التأثر بتعاليم القرآن.

المسألة السادسة: قسوة القلب:

إعلم أخي أن موت القلب أو قسوته تأتى من السير في الآثام والمعاصي والخطايا فتجده قاسى القلب لا يتأثر بالقرآن **قال تعالى**:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٧٤]

وابن تيمية يرى في كتابه درء تعارض العقل والنقل يقول " كل خطاب موجه لبنى إسرائيل يقتضى عملاً فإن المقصود به نحن . وعلى المثل السائر إياك أعنى واسمعي يا جارة"

وقال سبحانه :

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[الحديد:١٦]

إخواني في الله: بن القيم في" مدارج السالكين" يذكر أسباباً لقسوة القلب منها الذنوب والمعاصي والخطايا .

ونعوذ بالله من موت القلوب **قال تعالى**:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾

[الأنعام:١٢٢]

فورد عن أبو بكر الصديق أنه مر على قوم من الصحابة فوجدهم يبكون قالوا كنا كذلك حتى قست قلوبنا قال سببه شواغل الحياة التي تحدث للمؤمن فقد يقسو قلبه بذلك وهو ليس آثم وبهذا بسبب فعل مباح.

ذكره عبد الغنى المقدسي بسند صحيح.

فهذا يدل على عمل مباح فيعذر ويشكر على ذلك ، أما القسوة التي يُلاَمُ عليها العبد فهي ترك ذِكْر الله والإدبار والإعراض عن تدبر القرآن الكريم وعدمه وَتَذكُر الموت ولقاء الله الواحد الأحد.

المسألة السابعة: ضياع العمر:

كل شيء يعوض إلاّ العمر وكل شيء إذا ذهب ربما نستعيده من طريق أو آخرى إلاّ العمر ما مضى فات.

حتى قال أحدهم " ما مضي فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها".

قال تعالى:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٧]

وقال أيضا:

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون١١٢ :١١٣]

وعن رسول الله ﷺ " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".

وأعظم ما يضيع العمر المعاصي وأحرص ما حرص عليه السلف الصالح العمر وإذا ذهب في المعاصي فقد ذهبت الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

السلف كانوا يحذرون من المُبَاحَات خوفا والآن أخذتنا المعاصي لا المباحات في الأوقات فنسأل الله أن يتوب علينا وعليكم.

قيل لكنز بن وبرة اجلس معنا" وهو أحد العباد" قال امسك الشمس أجلس معك" معناه أن الشمس تذهب وتأتى وتقرض العمر.

كما قال الشاعر:

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق و ثواني

فلا تضيع عمرك فيما لا يفيد وأرجو رحمة الله جل وعلا في كل وقت وحين.

واعلم أن المآسي التي نشاهدها عندنا في ديار المسلمين سببها الرئيسي أنهم أبطلوا وصولهم وضيعوا جاههم مع الله سبحانه **قال تعالى**:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة:٦٧]

ولكن أعظم ما مُنىَّ به المسلمون إلا من رحم ربى ضياع العمر فكيف إذا كانت المعاصي والخطايا فوق ضياع العمر بلا طاعة.

المسألة الثامنة : فهي عواقبها في الآخرة يوم يأتي الإنسان بلا توبةً مفلساً من الخير:

فهي عقوبات في الآخرة ذكرها الله في كتابه ورسوله عليه الصلاة والسلام وتوعد بها.

فالزاني له عقوبة والقاتل له عقوبة وللكاذب عقوبة ولعقوق الوالدين عقوبة فنعوذ بالله من عقوبة من الله وغضب منه ومن عذاب الله. **قال تعالى**:

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٣]

واعلم أنه لابد من البعد عن المعاصي فإن خطرها كبير **قال تعالى**:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [آل عمران:١٨٥]

وكأن الأمر فيه صعوبة **وقال تعالى**:

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢ ﴾ [آل عمران:١٩٢]